(تاريخ الدولة العثمانية، قطعة منه) ، لم يعلم المؤلف .

رواية أحمد بن زنبل الرمال المحلي . كتبت في القرن الثالث عشر الهجري تقديرا .

٢٥ ق ٢١ س ٢٠ × ١٣٫٧ سم

نسخة حسنة، خطها نسخ معتاد ، أوراقها منفرطة ، بأولها وآخرها واثنائها نقص، تشتمل على اخبار استيلاء السلطان سليم على حلب ومصر بعد قضائه على طومان باى سنة ٩٢٣هـ .

١- تاريخ الدولة العثمانية في مصر أ- تاريخ النسخ

٥٢

~~مجلة المجلة العلمية~~

٣٨-٣

DEAN
UNIVERSITY LIBRARIES

شؤون المكتبات

Riyad University
RIYAD, SAUDI ARABIA

No. ٣٨٠٣ ز الرقم : Date التاريخ :

الرقم ٣٨٠٣ ز ف ٨٠٠ / ١١ في ١٤٠٠/٥/٢٦هـ
العنوان تاريخ الدولة العثمانية
المؤلف لم يسم المؤلف
تاريخ النسخ الثالث عشر الهجري
اسم الناسخ ؟
عدد الأوراق ٢٢٥ ق
ملاحظات ٢٢×٢٠,٧ سم
٩٥٦,٢ ت

مصورة: جريدة زيني الرمال الحلي

ابو النور الغادري واما ما كان من امر العسكر المصرية فانه لما وقعت
عليهم الكسرة نهب بعضهم بعضا وصار كل انسان ياخذ بها ما قدر
عليه وكل من كان له عدو وقدر عليه قتله ولكل نبي افة من جنسه
وانظر الي قوله تعالي ولا تنازعوا فتفشلوا الاية وقال تعالي
واذا اردنا ان نهلك قرية وقال تعالي واذا اراد الله بقوم سوءا
فلا مرد له ثم ذهب غالب العسكر قاصدين حلب فمنعهم اهل
حلب من الدخول الي حلب من ما قاسوا منهم حين مجيهم مع الغوري
فتشتت شملهم وذهبت هيبتهم وانكسرت شوكتهم بعد ذلك
القوة والباس الشديد وكانت سبب سعادة اهل حلب من
هذه الوقعة فانهم اودعوا عندهم الجراكسة جميع اموالهم وخرجوا
علي جرايد الخيل فطمعت فيهم اهل حلب وصدوهم عن الدخول لاجل
ذلك واما خيربك فانه دخل حلب واخذ سيدي محمد بن الملك
الغوري لانه كان ابوه ابقاه في حلب علي خزاينه واموله بقلعة
حلب وقال خيربك لسيدي محمد اعلم ان ابن شاه سوار نازل
علي جيلان لعشرين الف فارس وهو قاصد حلب لياخذها
فقال سيدي محمد فما الراي يا امير خيربك فقال راي عليك
ان تنادي في العسكر بالرحيل الي مصر وتجمع عليك ما تشتت
من العسكر وتكون ملك مصر مواربك وانا مساعدك في ذلك
فلما سمع سيدي محمد ما قاله خيربك فصدقه وظن ان قوله صحيح
فنادي في حلب من كان له رغبة في مصر فقصده المسير اليها
فليتبع ابن السلطان فخرجت الناس علي وجوههم وتركوا اثقالهم

واموالهم واختاروا سلامة الروح وخرجوا كالهاربين وكان ذلك
مكيدة لمن خير بك حتى ياخذ حلب للسلطان سليم من غير
حرب فلما خرجت تلك العساكر مع ابن السلطان قاصدين مصر
فارسل خير بك الى السلطان سليم يخبره بما فعل وانك تسير في هذا
الوقت الى حلب فانها خالية من العسكر المصري واما عسكر حلب
فانهم خنوا ذلك من قبل فجا السلطان سليم بموكبه ودخل حلب
من غير حرب فاطاعته الرعايا والعساكر فملكها واخذها واخذ
الاموال التي وجدها ثم نهب الحلب قال الراوي فلما خرج
ابن الغوري من حلب وقصد دمشق الشام وخرجت عليه
العربان في الطريق ونهبت اثقالهم واثقال من معه ولولا الامير
ابو كرك راس الجلبان والامير قنبردي الغزالي والا كانوا نهبوا جميع
العسكر فان العسكر ماتت قلوبهم والقى الله في قلوبهم الرعب
فما دخلوا دمشق الا في اسوا الاحوال فضاقت عليهم دمشق
وغلت الاسعار فاقاموا بها ثمانية عشر يوما فاراد الامير
قنبردي الغزالي ان يتسلطن فقال الامير ابو كرك راس الجلبان
هذا لا يكون ولا يجري حتى انك تتسلطن فان كان ولا بد ان
تجعلوا لكم سلطانا فما تكون السلطنة الا لابن السلطان
فقامت الجلبان جملة واحدة وبعض من الغزانية الذي
يتمنى كل واحد انه يعمل سلطانا فلما سمع الامير قنبردي الغزالي
ذلك فايس من السلطنة بعدما كان يتمنى وكاد ان يقع بينهم
ضرب سيف فقام الامير علان وقال تكون السلطنة بمصر

ام بالشام

ام بالشام فقالوا بمصر فقال اذهبوا لمصر واجتمعوا بمن فيها من
الامرا واتفقوا على انسان تختارونه وسلطنوه فان السلطنة
لا يصلح الا لا شجعنا وافرسنا واعقلنا وخصوصا نحن في اضيق
الاحوال وعدونا في طلبنا واما كيف نسلطن علينا ولدا صغيرا
الوجه فاستطيبوا رايه واما الامير علان ما تكلم بهذا الكلام
الا قصده ان يكون السلطنة له فانه كان من الشجعان المجربة
وكل انسان ما يريد الحظ الا وفرا لنفسه فاقتضى رايهم بالتوجه
الى مصر وابن الغوري معهم كاحاد الناس لا يلتفتون اليه
واما الغزانية الروس كل منهم يتمنى ان يكون عوض الغوري
وما يكون الا ما يريد الله تعالى فقالوا الامرا لبعضهم من يحفظ الشام
فاتفق رايهم ان يجعلوا الامير ناصر الدين ابن الحنش فارسلوا خلفه
وخلعوا عليه خلعة تليق بمقامه فانه كان من اعيان مشايخ
العربان بتلك الديار وقالوا له البلاد بلادك تتسلم حفظها
حتى ننظر الامر كيف يكون ثم خرجوا من الشام طالبين ارض
مصر والامير قنبردي الغزالي مع العسكر وهو كامن لهم الغدر
الذي ما سلطنوه وصمم على معاكستهم ومال بقلبه الى خير بك
في تحريض السلطان سليم الى اخذ مصر فان السلطان سليم
لما انكسرت الجراكسة ونهب جميع ما كان في اوطاق الغوري
والعسكر فاتفق رايه ان يرجع الى اسطنبول لا يدركه الشتا
وتطول عليه المدة فيحصل في بلاده امر من الامور او يعكر به
بو احد في غيبته وقال في عقله ان عسكر الجراكسة قد انتصر على

على بعضها واخذوا الهبنهم في مصر ولموا عليهم من عربانها ومن قواها
فيحصل الي التوبيف ويخاف على الملك لكن حيث ما قلتك الترتيب
وشنعت بعسكره فقد بلغت مطلوبي قال الناقل فبينما السلطان
سليم عازم على الرجوع الي مملكته ودياره واذا بمكاتبة الامير خيربك
عابرة عليه فقراها فاذا فيها ساعة وصول المكاتبة الي حضرة السلطان
سليم انك تسير بعساكرك واجنادك الي مدينة حلب واني قد
جمع العسكر منها بالحيلة ولم يبق فيها احد فاسرع وخذها وكذلك ان
شا الله تعالى تاخذ لك مصر عن قريب فلما اخذ السلطان سليم
حلب كما تقدم فبقي السلطان سليم عازم على الرجوع الي الروم وخيربك
يرسل له المكاتيب والمكاتبات ويحسن له العبارات في اخذ مصر ويطمعه
بذلك وحقيقتا ما طمعه في اخذ مصر الا خيربك وقنبردي الغزالي
فلا زالوا الامرا والعساكر سايرين الي ان دخلوا مصر ليلا وهم
في اسوا الاحوال فنزل قنبردي الغزالي في بيت افنردي وابن
الغوري في بيت ابيه الذي بناه له في البندقانيين وهو الذي
هدمه الحمزاوي وجعله خان التجار وبقية البيت باقي للان وهي
القاعة العظيمة وما حولها وبابها من ناحية سر الغورية فسبحان
من يغير ولا يتغير وكان الامير انس باي حاجب الحجاب في راس حدرة
البقر عن يمينك وانت متوجه الي الصليبة وهو بجنا لان بيت
حمزة الذي مات في اليمن وبيت الزدكاش في البيت الذي بازايه وبيت
الامير تاني بك العجمي بحضرة الصليبة عن يسارك وانت قاصد الكبش
وبيت الامير ازبك المكحل في راس المدابغ عن يسارك الذي كان ر
فيه

المرحوم عثمان بك قايم مقام وبيت الامير قانصوه الفاجر لاسفل
عنه من ناحية باب زويلة وبيت تمرباي تجاهه وبيت ابرك
راس الجلبان في راس الصليبة من ناحية الكبش وبيت الامير طومان
باي دوادار كبير على بركة الفيل وبيت الامير علان على بركة النا صرية
بجوار مدرسة امير اخور وبيت قانصوه كرت بالقرب من قناطر
السباع وانت قاصد مصر العتيقة بجوار مدرسة الاخير وبيت تقطباي
نايب القلعة بقرب حمام لبشتك الذي في راس سويقة العزي
من داخل الدرب وهو الذي كان ساكن فيه قابيل اغا ناظر
الدشيشة وبيت اركماس امير مجلس في الازبكية في بيت تزبك
وبيت تاني بك الخازندار في بيت الامير ماماي الذي هو الان
بيت قاضي العسكر وبيت سودون العجمي الدوادار في بيت جانبلاط
بالقرب من الخرنفش مقابل مدرسة الباسطية وبيت قانصوه
ابو سنة في راس سويقة العزي من ظاهر الدرب وبيت خشكلدي
في التبانة بجوار سويقة العزي وبيت اقباي الطويل في بيت
نزابيه الذي على بركة الفيل وبيت الامير قانصوه رجله في الرميلة
وبيت جانبلاط ابو ترسين في سويقة صفية وبيت كرتباي
الوالي في راس سويقة العزي وانت قاصد باب زويلة وبيت
قصنابردي بازايه وبيت قانصوه اصفله بباب الخرق في الخرزة
وانت قاصد سويقة صفية وهو مشهور الي الان وكان يامر
السياس بان يصفلوا جلد الخيل حتى يصير كالورق للمصقول فلهذا
اسمه اصفله وكانت مصر بهذه الامرا كالعروس المجلية وكل امير

كالسلطان المنفرد بنفسه وكل من في حارته وفي عايش في رزقه
وفي حمايته فسبحان من لا يحول ولا يزول ولا تراه العيون وبيت
الامير داود العجمي في راس سويقة الساعين على يسار القاصد
للسويقة المذكورة نفعنا الله ببركات الاولياء ذكر تولية السلطان
طومان باي فلما اجتمعت العسكر بالعسكر وهو الذي كان
مغيبهم بمصر وحكوا ما وقع لهم وما تم من الاول الي الاخر وكيف كان سبب
كسرتهم من اختلافهم في بعضهم وملاحاتهم على سلطانهم وكان
كل ذلك بسبب عنادهم في بعضهم وقد قال اهل الفضل لا تمانع تغلب
لوانك السلطان ثم اجتمع الامرا والاعيان ثاني يوم في قلعة الجبل
فاقتضى راي الجميع بسلطنة طومان باي وقد بايعوه العسكر
على السلطنة في يوم الاحد خامس عشرين من شهر ربيع رمضان
سنة ثلث واحد وعشرين وتسعماية وكان رحمه الله تعالى غليظ الجثة
كبير البطن متوسط الطول كبير اللحية والوجه ورزق من الاولاد
الذكور ثلاثة اولاد ولم يعش له منهم سوى سيدي محمد وعاش
الغوري من العمر ستة وسبعين سنة ولما بايعوا طومان باي على
السلطنة واراد ان يقبض على سيدي محمد بن الغوري وياخذ ما معه
من المال فقام الامير ابو بكر راس الجلبان وقام معه من بقي من
الجلبان وقالوا لا لا سبيل لك الي ابن استاذنا بوجه من الوجوه
حتى تذهب ارواحنا ما يكفي ان استاذنا قد اهلكتوه بينكم ولا تجنوا
عليه وتريدوا ان تهلكوا ولده الاخر فلا كان ذلك ابدا الا ان هلكنا نحن
اجمعين فقالت الغوارنة وكان المتكلم فيهم الامير علان والامير كرتباي

الوالي

الوالي انهم كانوا امرضي السلطان طومان باي لما يعلموا من دينه
وصلاحه وشجاعته وفروسيته وليس الخبر كالعيان فقالوا الجلبان
مهما حصل لابن استاذك في عرضنا وفي ذمتنا ولكن انكم تعلموا ان
السلطان طومان باي رجل صوفي فقير من الدنيا وليس معه ما يقوم
بنظام السلطنة وقصدنا ناخذ من ابن استاذكم قدر خمسين ستين
الف دينار ذهب يدفعها السلطان طومان باي يستعين بها على قتال العدو
الذي قادم علينا واما ابن استاذكم فانه ولد صغير ليس فيه كفاية
لذلك قال الناقل فاستحسنوا الكلام وطابت انفسهم بعدما
كانوا قايمين على السلطان طومان باي هذا ما كان من الجراكسة
واما السلطان سليم لما انه دخل حلب فتلقاه الامير خير بك واقام
بها نحو العشرين يوما وكان مع الغوري خلفا المشايخ مثل خليفة
سيدي احمد البدوي وخليفة سيدي عبد القادر الكيلاني وخليفة
سيدي ابراهيم الدسوقي وامثالهم فلما وقعت الكسرة على الغوري
قد خلت المشايخ الي حلب فلما سمعوا بان السلطان سليم قادم
الي حلب خافوا من سطوته فخرجوا من حلب انهم يروحوا الي
الشام فلما استقر السلطان سليم بحلب فراي على بعد رايات
واعلام خضر وحمر وبيض فقال السلطان سليم ما هذه الرايات
والبيارق الذي انا ناظرها على بعد فقالوا له خلفا المشايخ كانوا
قد جاوا مع الغوري فلما كسر الغوري يريدون الذهاب الي مصر
فامر السلطان سليم باحضارهم فاتوا بهم فلما وقفوا بين يديه
فسالهم عن سبب مجيهم فقالوا قد جابنا الغوري معه بقصد

النزكية فقال السلطان سليم بركتكم بانت مع الغوري فامر بربي
رقابهم اجمعين وكانوا يلموا على الف رجل فقدر الله عليهم ثم امر بالتوجه
الى الشام وكان المشير بذلك خيربك لانه هو الذي يغريه فلما قدم
على الشام امر باحضار على باي نايب القلعة فامر بشنقه لاجل
انه لم استقبله ولم لاقاه وشنق غالب جماعته وكان السلطان
سليم له اقبال على قتل النفس لا ينكر في قتل احد وكان الامير خيربك
والامير ناصر الدين بن الحنش شيخ بلاد الدوارهم المساعدون له
للسلطان سليم على مراده ليصير لهم مزية على سائر اهل البلاد
قال الناقل وهو الشيخ احمد بن زنبل الرمال المحلي ان السلطان
سليم قصد الرجوع الى بلاده بعد ان اخذ حلب والشام كما فعل
السلطان تيمور بها درخان في زمن السلطان فرج بن برقوق
فانه كان اخذ حلب وبر الشام بجملته واخرب الشام وحلب بدا
واحد وافسد العباد وخرب البلاد وهتك حرمات الله وكان
قصده اخذ مصر من يد ملكها فرج بن برقوق فخشي ان يكون
فعل السكة والخطبة باسمه في مصر والحرمين الشريفين فاخذه
الله تعالى اخذة رابية وليس هذا محله وكذلك السلطان سليم
لما اخذ بر حلب والشام قصد الرجوع الى بلاده فاغراه الامير خيربك
وقنبردي الغزالي وناصر الدين بن الحنش على التوجه الى مصر
وذلك مكر وخديعة فانه يعلم ان رجع السلطان سليم الى بلاده
لم تبقي الجراكسة على خيربك ولو راح الى تخوم الارض السابعة فما
انه التزم للسلطان سليم باخذ مصر فقال له السلطان سليم
ان اخذ

ان اخذ مصر ليس بقي ساحل فان جميع الامرا والعساكر قد اخذوا
اهبتهم واجتمعوا فيها وقد سلطنوا عليهم طومان باي ولابد انهم
قد دبروا لهم امرا من الامور ونحن نخشى التحويل في بلادهم وبعد
المسافة بيننا وبين بلادنا فقال خيربك يا مولانا السلطان
ان جميع العسكر الذي رجعوا من بعد الكسرة قد انقطعت قلوبهم
وخصوصا الخلف واقع بينهم فانهم جميعهم مختلفين وكل احد من
الامرا قاصد هلاك الاخر وانت لا تختشي من ذلك ابدا وانت منصور
عليهم ان شا الله تعالى قال الناقل فاتفق راي السلطان سليم
ان يرسل مكتوبا الى مصر للسلطان طومان باي فامر بكتابته
يقول اما بعد فاني اريد ان يكون السكة والخطبة باسمي وانت
نايب عني وابقيك على ما انت عليه فان رضيت صالحنا على ما انا
عليه وانت على ما انت عليه وان لم ترضى فانت تعلم ما حل بسلطانكم
الغوري ثم اعطى المكاتبة للرسل وتوجهوا الى مصر فلما وصلوا الى
السلطان طومان باي واخذ المكاتبة قراها وفهم معناها فطابت
نفسه على ذلك لكون ان فيه حقن دما المسلمين فقدر الله تعالى
ان الامير علان طالع الى الديوان فلاحت منه التفاتة فراى اولاقية
السلطان سليم واقفين تحت الديوان والناس واقفين حولهم
ينظرون اليهم والخبر قد شاع في الديوان بان السلطان سليم
ارسل اولاقية بمكاتبة يطلب بان تكون السكة والخطبة باسمه
فلما راهم الامير علان فما كان دابه الا انه سحب سيفه وحط على
الاولاقية فضرب اعناقهم بيده وكانوا ثلاثة انفار وطلع الى

السلطان طومان باي وهو ملان من الغيظ وقال السلطان طومان
باي هذا الخبر صحيح الذي قد جا من عند سلطان سليم قال نعم فقال
الامير علان مما الذي حولت عليه قال اوافقه على ما اراد ولا
اكون سببا لسفك دما المسلمين ثم اني قد فهمت من كلامه انه
اذا لم اوافقه على ما اراده والا فهو قادم علينا لا محالة وعسكرنا
بقي مختلف في بعضه ووقع الكره والبغض بينهم فنخشى من ملاقاتهم
على بعضهم فيحصل ما يحصل ولا نبلغ مرادنا وهذا راي انا فما
رايك انت قال الامير علان رايي اننا نقاتل على بلادنا وحريمنا
واولادنا وارزاقنا حتى نقتل عن اخرنا قال السلطان طومان
باي ولكم صبر على القتال قال هذا اسهل ما يكون لاني قد قاتلتهم
في مرج دابق وعرفت حالهم مما رايت عندهم فروسية ولا معرفة
في ابواب الحرب ولا ركوب الخيل وغاية ما عندهم الرمي بالبندق
فلكن اذا ارادوا قتالنا وجوا لنا وقاتلونا فندكس عليهم دكسة
واحدة ونلهيهم بانفسهم فندكسهم تحت ارجل الخيل ولعل ان الله
تعالى يمكننا منهم ومن سلطانهم ونجعلهم مثلا الى يوم القيامة
فلما راى السلطان طومان باي عزم الامير علان على الحرب ٢
واستشار الامرا فمنهم من اجاب الى ذلك ومنهم من طاطا
براسه واختار الصلح فقام الامير علان والامير كرتباي الوالي
وشنعوا الكلام على الذي اراد الصلح من الامرا وقاموا عليهم
وسبوهم وقالوا لهم كيف تقولوا انكم رجال والنسوان لها نخوة
اكثر منكم الا في سبيل الله عليكم قال الناقل فلم ساعهم الا انهم
واتفقوا

واتفقوا كلهم على القتال والحروب والدفع عن حريمهم واولادهم واما
السلطان سليم فانه لما رجع له خبر الاولاقية بانهم قتلوا عمر ماربل
خلف خيربك فلما حضر امره بالجلوس فجلس وكان السلطان سليم
يحب خيربك لانه بانه على بلاده فقال لخيربك ما الراي عندك
قال خيربك الراي عندي يا مولانا السلطان انك تركب الى مصر
تاخذها وتقطع هذه الطايفة الجراكسة من ارض مصر جملة واحدة
وانا ضامن لك هذا الامر بعناية الله تعالى فالتفت السلطان
سليم ليونس باشا وقال له ما تقول قال اقول يا مولانا السلطان
انك قد اخذت من الفرات الى الشام واترك لهم مصر فاننا ان
مشينا عليهم وتجونا في بلادهم ما نامن على نفوسنا ان حصل لنا كسر
وخصوصا عندهم من العرب ما لا يحصى والعرب تركن اليهم اكثر
منا لانهم معتادون بهم ومن هو مصاهرهم ونندم حيث لا ينفعك
الندم قال الراوي فتالم السلطان سليم لهذا الكلام من يونس
باشا وغصه في قلبه ولكن كتم ما عنده واسرها له في نفسه
حتى قتله وسياتي ذكر ذلك في موضعه ان شا الله تعالى قال
الراوي ثم ان السلطان سليم امر بالرحيل الى مصر واما السلطان
طومان باي فانه لما راى الامرا الجراكسة معولين على الحرب
جميعهم وضربوا الشورة في بعضهم فيمن يكون باش العسكر فاتفق
رايهم ان يكون قنبردي الغزالي وكان ذلك اول عكسهم لانه كان
ملاخي عليهم في الباطن وكان من جملة العسكر الذي خرجوا
معه في هذه التجريدة عشرة الاف عسكري وعشرة مقدمين

الالوف وثلاثين من الامرا الاربعينيات وثلاثين من الامرا العشراوات
وعشرة من الامرا مقدمين الوف فالعشرة المذكورين الامير جانم
بردي وتنم نايب القلعة ومن الامرا الاربعينيات برسباي الشمسي
وقرقماس والامير مسيد وجانبردي وقايتباي نايب الكرك
ومن الامرا العشراوات الامير خشكلدي وقانصوه استادار
والامير جانم دوادار وسيدي محمد بن الغوري واخوه جانبك
وقرقماس الشويفي ولم سافر في هذه السنة الحاج لان الناس
والدولة كانت مشغولة بالحرب ثم خرج العسكر في اول شهر
شوال سنة واحد وعشرين وتسعماية ولم يزالوا سايرين
من غير اطالة حتى وصلوا الى خان يونس واذا بعسكر الروم
قد اشرف وذلك انه خرج من عسكر الروم فارسين ومن عسكر
الجراكسة فارسين يكشفوا الخبر فلما تلاقوا الفارسين من
عسكر الروم مع الفارسين من عسكر الجراكسة وسالا من
بعضهما فكل منهما اخبر عن قومه ثم افترقوا ورجعوا اخبروا بالامر
فلما انهم تحققوا الفريقين الخبر فتهيوا للقتال وترتبوا ترتيب
الحرب ودكست الجراكسة بالخيل العربية دكسة تهد الجبال مثل
ما قدرا تفتوا عليه الجراكسة اولا فلاقتهم الينكجرية برش بندق
خلت الدار اكثر من الواقف وذكس قنبردي الغزالي وجماعته
الحمية والحمش في القتل فتكاثروا عليه وجذبوه بالكلاليب انهم
ياخذوه اسيرا فانتصب له الزعر من الغلمان وخلصوه من قلب
العدو بعد ان قتلوا من الينكجرية مقتلة عظيمة وخلصوه وما

كان

بالمزراق فخرج من بين يديه كالبرق الخاطف فلما نظرها قنبردي
الغزالي جات بالقصد الي صدره فانحرف لها في ظهر الجواد وحطها
من الهوي ثم صاح علي الخاصكي خذ نحو بتك فانك مقتول بها
ثم هزها وطعنه بها فغطس عنها الخاصكي فصبر عليه حتي استوي
علي سرجه وعاجله بها قبل ان ينظرها فوقعت في نحره فوقع علي
الارض طريحا ثم ان قنبردي الغزالي جال في الميدان وطلب البراز
كل ذلك والجراكسة لم تعرفه وما يظنوه الا بدوي من فرسان
عرب غزالة فانهم لو عرفوه لرموا بانفسهم عليه وقطعوه بسيوفهم
فانه اول من خانهم ولغري عليهم اعداهم هو وخيربك فانهم لولا
هذين الاثنين ما كان السلطان سليم يتجوز ويدخل ارض
مصر ومع ذلك ان السلطان سليم كان له عزم وباس وعظمه
وتكبر وتجبر وكان قهارا سفاكا ما كان يرحم ويحل السياسة لاعلى
كبير ولا علي صغير وكان همته باخذ الربع المسكون من ايادي الملوك
المتنوعة ويصير هو سلطانا علي كلمة واما كان سبب مجييه
الي مصر الا العناد الذي حصل من الامرا وقتل الاولاقية وعدم
اطاعة السلطان طومان باي علي السكة والخطبة باسمه وكان
محركه لذلك خيربك وقنبردي الغزالي ولكن لكل شي افة من جنسه
لان تيمورلنك لما خرج علي الملك فرج ابن برقوق واخرب حلب
والشام واطلق فيهم النيران بعد ان نهب جميع ما فيهم ولا قدر
ان يتجوز ويدخل الي مصر وفي الحقيقة ان السلطان سليم
زاد علي تيمورلنك بالمدافع والبنادق والضربزانات التي لو

اسبحت منها طلقا لتزلزلت الارض ونزعت قلوب الناس ولكن
اذا اراد الله تعالى امرا هيا اسبابه ونرجع الى سياقة الحديث
فلا زال قنبردي الغزالي تبرز اليه الفرسان واحدا بعد واحد
حتى قتل منهم عشرة وهابته الفرسان وقالوا قد تعجبنا من
هذا الانسان فما عرفنا هذا من الانس ام من الجن فقال
لهم قنبردي الغزالي يا الجراكسة ذبحوا انفسكم فلا يبرز الي
الا سلطانكم طومان باي ان لم يقتلني او اقتله فلما سمع م
السلطان طومان باي كلامه تعجب منه وقال الا تنظرون الى
قوة هذا الفارس واقدامه وشجاعته وكثرة كلامه هل فيكم
احد يكفيني شره فقال له الامير قلج انا يا مولانا السلطان
فقال له السلطان طومان باي ابرز اليه وخذ حذرك منه
فاني اراه سريع الحركات ولا يخلو هذا الفارس ان يكون بطلا
من الابطال المشهورة ولو ان فرسي تعب والا انا كنت اول من
يبرز اليه ولا اظن ان فيكم احد يقاسيه في الفروسية فقال الامير
قلج بحول الله تعالى وان شا الله تعالى نكتفي شره بعناية الله
تعالى ثم برز اليه الامير قلج وقد كان من امرا الاربعينيات وكان
يتعين له ان يصير امير ماية مقدم الف موضع الامير كرتباي م
الوالي ولو كان الامير شاذبك حاضرا في ذلك الوقت ما تركه
يبرز الى هذا الفارس فانه كان من شدة محبته له يفديه
بنفسه في امر صعب وفي الحقيقة ان الجراكسة لو عرفوا ان هذا
الفارس قنبردي الغزالي ما برز اليه الا السلطان طومان
باي

٨

باي بنفسه او الامير شاذبك فانهما يرجحان عليه في الفروسية
فلما برز اليه الامير قلج وحمل عليه فوقع بينهما من الحرب اندايا حتى
تعجب الناس من هذين الفارسين ثم ان الامير قلج اورا قنبردي
الغزالي انه ضاربه على وسطه يريد به من عدم الجوام فستر قنبردي
الغزالي عن نفسه فما خلا حال الامير قلج يكشف عن راسه فعاجله
بضربة على راسه بالسيف قطعت الخوذة ونزلت الى الزرادة
والشاشية فجرحته جرحا خفيفا فما كان جواب قنبردي الغزالي
الا ان ضربه نشلا على يمينه الامير قلج فابراها كما يبري القلم
فوقعت الى الارض هي والسيف فبهت الامير قلج واندهش
وتخبل حين راى يمينه بالسيف على الارض فهجم عليه قنبردي
الغزالي وضربه وضربه على هامته حلا راسه قدامه فلما عاينت
الجراكسة ذلك دهشت عليهم الامير قلج ثم ان قنبردي الغزالي
جال في الميدان يمينا وشمالا واعجب بنفسه وتمايل في ظهر جواده
وصار يشتم الجراكسة بالعربي ويقول لهم يا لئام عسكر كرام من بقايا خدم
السلطان سليم او يقتبت بين يديه بالكفار بالحجار والخشب في الهدم
حتى اتخم قلوبهم وكل ذلك ولم يعرفوا انه قنبردي الغزالي فصار يسب
ويشتم ويقول لهم ان كان السلطان طومان باي يزعم انه بقي سلطانا
وانه فارس ويقاوم الفرسان فيأتي الى حومة الميدان وننظر
ان كان يربح او يقع في كفة الخسران فقال له السلطان طومان
باي حسبك يا احمر اللون هات ما عندك من فروسيتك
وشجاعتك ولا تنفر مكنا ثم ان السلطان طومان باي فانه

انظر يا اخا العرب اني لم اقاتل انا واياك حتى انتكلم معك كلاما يكون
فيه صلاحا لي ولك قال له قل ما عندك فقال له السلطان طومان
باي اريد منك ان تخبرني اولا من انت وما الذي حملك على قتل
فرساني من غير اذية سبقت مني اليك فاني والله منذ ما ادركت
نفسي ما اعلم اني بغيت على احدا ولا ظلمت احدا ولا فتريت
على احد واما ما كان من امر سلطنتي هذه والله لم يكن لي فيها
غرض ولا خاطر وانما الامير علان والامير كرتباي الوالي والامير
شاذبك ابرموا علي وقالوا لا نرضى هذا الامر الا لك فعلمت
ان الله تعالى ابتلاني بذلك واما هذا السلطان سليم الذي
يدعي انه ملك عادل وانه لا يحب الجور فكيف يجوز له ان يتعدى
علي ويرمي علينا بالنار والمدافع والاحجار ويقتل رجالنا ويسبي
نساءنا واولادنا ونحن مسلمون مؤمنون موحدون قائمون بحماية
الدين فلما ان بغى علينا وتعدى حده وجب علينا ان نقاتل
عن انفسنا كما قال الله تعالى في كتابه العزيز فمن اعتدى عليكم
فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم الاية ونحن في الزمن الاول
قدرنا عليهم مرارا وعفونا عنهم وهم الان قدروا فما عفوا وملكوا
فما رحموا وفعلوا فينا ما لم يفعلوه في عبدة الاصنام والصلبان وهم
حداهم وجيرانهم واما نحن مسلمين مؤمنين موحدين واني قد
سالتك بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم ان تكون معنا وتكون
نحن وانت اخوانا من الان وتتركنا لا لنا ولا علينا ونحن نستعين
بالله تعالى عليهم وتكفينا شرك وان اخترت الحرب والقتال

قال

قال له افانك الا ان عرفتني بنفسك فانك قد قلت لا تريد
الا انا وانت قد طلبتني في حومة الميدان وها انا قد جيتك بنفسي
فعرفني بنفسك واكشف لثامك فاني متحير فيك واشكل علي
امرك فلا انت بدوي تعرف ولا جركسي تعرف وكلامك لا يشابه
كلام العرب فاني اقسمت عليك بالله الذي فطر السموات والارض
الا ما اخبرتني من انت قال الناقل فلما سمع قنبردي الغزالي كلام
السلطان طومان باي كشف لثامه فلما راه السلطان طومان
باي وعلم انه قنبردي الغزالي فغاب عن صوابه من شدة القهر
وقال له يا ابن الف قرنان يا ابن الزنا ونسل اللئام يا خبيث
يا ملعون يا ابن الملعون يا خاين يا ابن الخاين ولهذا تبعت
الخوان فان الذي ذهبت اليه وصرت من حزبه شهرته بالخيانة
فان اسمه سليم خان ومن خان لا كان وانت ايضا عاهدتنا
وخنتنا وبعد ذلك عاكستنا واغريت علينا اعداينا فيالله
العجب كيف طابت نفسك الخبيثة بذلك ولكن صدق الله
العظيم الخبيثات للخبيثين ثم ان السلطان طومان باي حمل على
قنبردي الغزالي حملة منكرة فما ادرك نفسه قنبردي الغزالي
حتى طعنه السلطان طومان باي طعنة بقنطارية فاقلبه
من ظهر فرسه ثم وضع القنطارية على صدره واراد ان يخليها تنفذ
من ظهره فصاح قنبردي الغزالي من صميم قلبه ونادى باعلا
صوته يقول للسلطان طومان باي قال اسالك بوجه الله تعالى
وتوسلت اليك برسوله محمد صلى الله عليه وسلم وبسر شيخك سيدي

ابو السعود الجارحي ان تجعلني عتيقك في هذا اليوم فلما سمع السلطان
طومان باي هذا القسم رق قلبه وذلك من كمال ايمانه وقال
له عرفت نفسك وشجاعتك يا خاين اين فروسيتك في الميدان
وقتلك في رجالي وابطالي كيف انت هذا الوقت فقال له الخيرة خيرة
الحرب للحرب فقال له السلطان طومان باي بشرط انك تكفينا هذا
العدو الذي جيت به الينا وانك لا تسحب في وجه احد من ال
جركس سيفا فحلف قانبردي الغزالي له الايمان المغلظة على ذلك
الشرط فعند ذلك رفع السلطان طومان باي القنطارية
عن صدره وقال له قم يا خبيث فقام القانبردي الغزالي وهو ينفض
التراب عن راسه وجا الى رجل السلطان طومان باي وقبلها في الركاب
وهو يبكي ويدعي له كالنادم على ما فعل وسار الى فرسه وركبه وقال
لجماعته ارجعوا عن القتال فقد حلفت له اني لا اقاتله واني اوفي
له بالايمان ولكن اخاف اذا رجعت اليه يقتلني فانا رايح من هنا م
الى محل اخر افتيم الحرب فيه واغير الملبوس الذي راني لابسه ولكن
ولكن هو قدر علي وعفى عني الا انا والله ان قدرت عليه لم اعف
عنه الى ان وصلت العسكر المعظم فان السلطان طومان باي
فلم ارا الا دولته قد زالت لانه لو قتلني لا يكفي شري ثم انه قصد
الى نحو الصنجق الذي للسلطان سليم الا وغبار قد ثار حتى سد
الاقطار فانكشف من تحت ذلك الغبار يونس باشا بمن كان معه
من العسكر لان السلطان سليم لما عدى الى بر الجيزة الى قتال الامير
شاذ بك وسلطان طومان باي كان رجع يونس باشا في مصر

وباقي

وباقي العسكر وكان السبب في قدومهم ارسال مكاتبة الى يونس
باشا في الليلة الماضية يامره بان يعدي الى بر انبابة بجميع من معه
من العسكر فلما وصلت هذه العساكر في تلك الساعة الى السلطان
سليم اشتد ظهره واما السلطان طومان باي فانه لما عفى عن
قانبردي الغزالي ورجع الى صنجقه فلم يرى تحته الا جماعة قلايل
من مماليكه وبقية الامرا اشتغلوا في الحرب والطعن والضرب
ولكن الكثرة غلبت الشجاعة فلله درهم من فئة قليلة تقاتل
هذه هذه الجموع التي لم يعلم لها اول من اخر فاندهشت عقولهم
وتحيروا في امورهم فقال لهم الامير شاذ بك والامير قانصوه العادلي
اثبتوا فان القتال ليس بكثرة العدد والمدد وانما هو بزيادة الصبر
والجلد واقرأوا ان شيتم قوله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة
كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وها انا امامكم وقد بذل عمره ثم
مولانا السلطان طومان باي نصره الله تعالى يرد عنكم وقدونكم
الحرب ما دمنا في قيد الحياة فلا تخافوا من احد فلا تغرنكم كثرتهم
فاني وعزة الله تعالى لولا هذه النار التي معهم لقاتلتهم بنفسي
ولا تركت منهم احدا فاني لم ارى فيهم فارسا يحمي كره ولا فره
وليس لهم باس الا بهذه النار والمدافع والبنادق وذلك لا يفيد
منهم شيا لان كل انسان جعل الله تعالى له عمرا لا بهروبه يزيد
ولا بثباته ينقص وقال العارفون الشجاعة صبر ساعة قال
الناقل لهذا التاريخ العجيب هم في هذا الكلام واذا هم بغبار قد
ثار واخر وصياح ثم اذا بصياح اخر من جهة الميسرة وغبار وعجاج

فتحيروا الجراكسة في انفسهم الي اين يذهبوا والي من يلتجوا وكان
السبب في ذلك ان قنبردي الغزالي لما رجع منهزما من عند
السلطان طومان باي الي السلطان سليم واخبره بانه صدمهم
وقتل منهم عشر فوارس ولكن السلطان طومان باي وشاذبك
وقانصوه العادلي جحجوني عن مرادي فاخترت الرجوع اليك لاني
اريد منك لاجل ان نقطع اثر الجراكسة في ساعة واحدة فقال
السلطان سليم ماهو يا ابا منصور فقال اريد انك تامر اغاة
الينكجرية يذهب من جهة بمن معه وانا اذهب من جهة اخري
بمن معي وتامر يونس باشا انه ياتي بمن معه من جهة اخري
وانت تمضي معك من جهة اخري ونطبق عليهم فانهم بقوا ناس
قلايل ما يثبتوا معنا ولا ساعة واحدة فقال السلطان سليم
نعم الراي ثم انه امر السلطان سليم بما اشار به قنبردي الغزالي
فما مضي غير ساعة حتي انطبقوا علي الجراكسة واحاطوا بهم من
كل جهة وجات عربان غزاله بصا فوق الكل من جهة اخري فلما
عاينت الجراكسة هذا الامر بقوا متحيرين في انفسهم وما تفعل
هذه الفرسان في هذه الالوف المولفة والجموع التي لا تحصي
من الكثرة من كل جنس فصار السلطان طومان باي والامير
شاذبك والامير قانصوه العادلي والامير يحيي بن اذبك والامير
ابرك راس الجلبان والامير دولتباي والامير ازمك الكاشف
جميعهم واقفين وهم متحدين الركاب في الركاب لا يفارقوا بعضهم
بعضا وبقية العسكر خلف ظهورهم وهم دايرين في وسط هذه

العسكر

العسكر لا يدرون الي اين يذهبوا ولا لمن يلتجوا قال الناقل
فالتحم بينهم القتال والطعن والنزال وسيبوا اطلقا من المدافع
والضربزانات والبندق علي عسكر الجراكسة حتي اظلم النهار وعقد
علي روسهم الدخان والغبار وفي هذا اليوم قتل من الجراكسة اكثر من
كل يوم بهذه العمله التي عملها قنبردي الغزالي وغالب القتل ما كان
الا بالبندق والمدافع والضربزانات والات النيران علي ساير الصنوف
واما الامرا المذكورين لم ينجرح منهم احد بفضل الله سبحانه وتعالي
وتم النهار فنادي منادي الحرب بالانفصال وافترقوا علي هذا
الحال وقد تخلت الجراكسة عن بعضها ورجعوا وهم لا يعرفوا بعضهم
بعضا من شدة ما حصل لهم من هول ذلك اليوم ولبس الخيل كالعيان
قال الراوي ونزل السلطان طومان باي علي قرية اسفل منها
علي شاطي النيل السعيد بحيث ان كل العسكر تنظر الي بعضهم راي
العين وباتوا تلك الليلة في اسوا الاحوال من شدة ما حصل لهم
من القتال ثم جلسوا بعد ما اكلوا الطعام الذي نزل لهم من القرية
التي كانوا بقربها فاخذوا في ضرب الراي فقال لهم السلطان طومان
باي والله يا اخواني ما اظن الا دولتنا قد زالت فاننا كلما فعلنا
شيا نريد ان تكون فيه المصلحة فما يكون امرنا فيه الا بضد ما
نريد واري اعداينا امرهم يزيد وكلما قتلنا منهم الوفا فاذي امرهم
في زيادة وان كان الغالب علي ظني زوال ملكنا وان هذه
الوقعة اضرت بنا وهدمت ركننا بفقد الامير قانصوه كرت
ولا بقي لنا الان حسن بن مرعي وابن عمه شكر شيوخ

محارب لابي انا فذ وليتهم عليهم وقد اطلقت حسن بن مرعي من
الحبس بعد ما كان المرحوم الملك الاشرف قانصوه الغوري كتب
علي قيده مخالد وقد اطلقته لما ان صار الامر لي وانا توليت السلطنة
واخذت عليه العهود والمواثيق والايمان المغلظة ان يكون معي
ظاهرا وباطنا ويقوم معي بالقلب والجوارح اذا احتاج الامر
الي ذلك وما نرى احسن من رواحنا اليه ونكون نحن واياه علي
قلب رجل واحد ثم بعد ذلك ندبر امرا وننظر ما يكون من جانب
الله تعالى فان الامر كله لله تعالى وهو يعلم انهم يا تون علينا ثم انه
امر بالرحيل من وقته وكان ذلك الوقت نصف الليل فقالوا له
بعض الامرا ان قام العدو علينا في هذا الليل فكيف يكون الامر فقال
لهم السلطان طومان باي هل رايتم او سمعتم ان الروم تقاتل
في الليل فهذا الامر لا يكون ابدا وانما قتالهم واعتقادهم الا علي
هذا النار والبندق كما فما كانت الا ساعة حتى وصلوا الي
مدينة سخا وكان حسن بن مرعي وابن عمه شكر قاطنين بها وغيرهم
منتشرين بها الي سمنود فلما نظروا الي خيل السلطان طومان
باي قد اقبلت تبادروا الي خيلهم وركبت العربان وسادات
القبيلة وركب الامير حسن بن مرعي امير العرب وتم سايرا الي ان
قارب عسكر السلطان طومان باي فترجل عن جواده هو واولاد
عمه وعشيرته ثم قدم علي السلطان طومان باي وقبل ركابه
وطلب من السلطان باي ان ينزل الي منزله للضيافة فقال
له السلطان نحن ما نحن قاصدين للضيافة ولا لغيرها والعدو

في طلبنا

في طلبنا وقامت علينا عرب غزالة لا لقاهم الله تعالى خيرا خصوصا
بني سلام ابن الخبير لا سلمه الله تعالى لخبرا ابدا وما جينا الا تنظر لنا محلا
نختفي فيه ثم ندبر امرنا فيما فيه الصلاح لنا فقال له حسن بن مرعي
انا اعرف لكم يا مولانا السلطان محلا يقال له الغابة وهو وادي
كبير واسع وافر المياه اذا غطس فيه القوم ووقف علي بابه رجل
واحد يمنع من يدخله ولو كانوا الوفا من الناس فان هذا الوادي
لا يمكن يدخل منه غير فارس واحد لا غير ولا يمكن ان يدخل اثنين
منشا وبين لانه ضيق جدا ومن الجانبين ارض ربو سبخة كل
من نزل تقدمه وداس عليها غاصت به وهذا الوادي هو قلعتنا
اذا قصدنا احد من اعدائنا ونعلم ان ما لنا قدرة عليهم فنذهب
الي هذا الوادي ونامن فيه علي نفوسنا من عدونا فما لكم يا مولانا
السلطان اعدل منه ولا احسن فقال له السلطان طومان باي
اركب وسر بنا علي بركة الله تعالى اليه لعل ان نتحصن به وما
يكون الا ما يريد الله تعالى فسار وامن وقتهم حتى وصلوا الي
فم الوادي الذي يدخل منه اليه الا والسلطان طومان باي قد
وقف وغطس قلبه وانقبض خاطره وحسن في نفسه ان لا
يحصل له خيرا من هذا الوادي ابدا فحبس فرسه ووقف مكانه
وتحير في امره والتفت الي امرائه وقال لهم اني مخبركم بمنام
رايته من قيمة يومين وانا لم اظهره لاحد وما ذكرته الا قد رايت
نفسي في هذا الوادي بعينه وانا علي جانب البحر المالح وقد قامت
فرتبة عظيمة واظلمت الدنيا ولا بقي احد مع احد واذا بخمس

كلاب سود قد احاطوا بي وارادوا ان يفترسوني فجذبت سيفي واردت
ان اضربهم به واذا به قد طار من يدي ووقعت عمامتي ووقفت
الكلام علي وقبضوني وصرت بينهم كقطعة اللحم كل واحد ينتشني
من ناحية فايست من نفسي فانتبهت مرعوبا وقد عمني العرق
من شدة ما قاسيت منهم فلما سمعوا الامرا هذا الكلام تشوشت
خواطرهم فقال بعضهم لبعض ان هذه الرويا لا تدل على خير وانما تدل
على ان الظفر لعدونا والنصرة لمعاندينا فان وقوع العمامة يدل
على زوال المنصب واما قيام البحر فانه قيام هذا السلطان علينا
واما عدم السيف فانه يدل على عدم النصرة واما الكلاب فانهم
روس الاعدا يقبضون عليك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
فان صحت هذه الرويا فقد والله زالت دولتنا وانقضت مدتنا
فقال السلطان طومان باي لهم ما بقي لنا حيلة نحتال بها ولا
منعة نستغني بها فقد فنا حتى تلفت نفوسنا وتثلمت
سيوفنا وقد قامت الدنيا كلها علينا فما عسى ان نصنع فانا قد
اردت ان اسلم نفسي فان كان قد بقي من عمري بقية فانهم يعطوني
الامان وان كان قد فرغ فما يفيدني شي من جميع ما ادبره وافعله
ابدا واما انتم يا اغوات فقد صالحتكم واذنتكم فكل واحد منكم يذهب
الى ناحية حيث شا واراد فلما طال الوقوف قال الامير حسن بن
مرعي يا مولانا السلطان اني اخاف عليكم ربما ان يكون العدو
قريبا منكم فاذا اتى فياخذكم لانه يبقى يعسر عليكم الدخول من
مضيق الوادي فادخلوا بنا على بركة الله تعالى ثم بعد ذلك اجلسوا

واسترجعوا

واسترجعوا ودبروا امركم كيف تختارون **قال الناقل** فدخل السلطان
طومان باي من باب الوادي ودخل وراه الامرا والاجناد فقالت الامرا
نحن معك لا نفارقك حتى تذهب ارواحنا فلا زال بهم حسن
ابن مرعي حتى اوصلهم الى صدر الوادي فضربوا للسلطان خيمة
على تل عالي على جانب البحر المالح ونزلت بقية الامرا في خيمهم فما
هدت نفوسهم حتى جاوا الى عند السلطان طومان باي لضرب الراي
واما حسن بن مرعي فانه اخذ من السلطان طومان باي اذن
يرجع الى بلاده ياخذ لهم الاخبار ثم يرجع يعلمهم بما يتم بالتفصيل
فاذن له السلطان طومان باي في ذلك ودعى له ثم قال السلطان
طومان باي لامرايه هذا الموضع خير لنا من قلعتنا التي كنا بها
ما لم يخوننا حسن بن مرعي فقالت الامرا كلهم على لسان واحد
الله تعالى يقابل الخاين واما حسن بن مرعي ثم سار حتى دخل الى
منزله فلاقته امه وسالته عن السلطان طومان باي فاخبرها
بما تم هذا ما كان من امر هولا **واما ما كان من امر السلطان سليم**
فانه لما طلع النهار جلس مع اكابر دولته وجا الامير خير بك فالتفت
السلطان سليم الى خير بك ينظر قنبردي الغزالي حاجبه فسال
عنه السلطان سليم فقيل له انه ركب في نصف الليل ومعه خمسة
انفار من مماليكه وتبع السلطان طومان باي والى الان لم
ياتي فخاف السلطان سليم وقال لخير بك انظر الى قلة عقل
صاحبك كيف يخاطر بنفسه فانهم ان ظفروا به لا ينجوا منهم
ابدا وانه ان قتل تعطل امرنا وخشي السلطان سليم ان يطول

عليه الامر وحسب حساب الاعادي الذي حول مماليكه فبينما
السلطان سليم متفكرا فيما يصنع واذا بقنبردي الغزالي قد
اقبل فلما حضر بين يدي السلطان سليم قال له اين كنت يا قنبردي
قال يا مولانا السلطان اني لما رحل السلطان طومان باي في
نصف الليل احببت ان انظر الي ابن بذهب فركبت وتبعتهم
علي بعد خشية بان يدروا بي فوايتهم قد سافروا الي ناحية م
البحيرة والعرب الغربية فلما سمع السلطان سليم هذا الكلام
قال له فما الراي عندك قال الراي عندي ان تعطيني ما اريد من
العسكر ويكون بصحبتي الامير خير بك واياس اغا اغات الانكجرية
وارح نفسك وارجو من الله تعالي ان لا ارجع لك الا به او براسه
قال له السلطان سليم العسكر بين يديك خذ معك ما شئت
منهم قال الراوي فاختار الامير قنبردي الغزالي ان يكون اياس
اغا اغات باربعة الاف معه وخير بك باربعة الاف خيال فامر
السلطان سليم بذلك فما كانت غير ساعة حتي برزت هذه
العساكر وامر السلطان سليم ان يكون فرهاد باشا سردار
علي الجميع والامير خير بك وقنبردي الغزالي ان يكونوا تحت يده
ويتقيدوا برايه وساروا من ساعتهم في اثرهم السلطان طومان
باي وهم يسالون من اهل البلاد حتي نزلوا علي قبيلة محارب
فخرج لهم الامير حسن بن مرعي واجتمع بهم واراد ان يشرع لهم
في الضيافة فقالوا له نحن ما احنا فاضيين لعزومة ولكن احنا
نسالك في طلب السلطان طومان باي فهل سمعت به او عندك

منه

منه خبر الي ابن ذهب فقال لهم الذي يدلكم عليه ويسلمه لكم من
غير حرب ولا قتال ماذا يكون له عندكم قالوا له ان اردت تشارطنا
علي مهما تريد وان جعلت الامر ما بينه بيننا وبينك وتجعلها علي
المروة لنا ولسلطاننا كان يحصل لك اكثر مما تومل انت فقال
لهم علي تسليمه اليكم واجعل الامر بيني وبينكم فضمن له الوزير فرهاد
باشا ان يقدمه عند السلطان سليم علي جميع مشايخ العربان
وان يعطيه ارضه اقطاعا له الي ان يموت لا يوخذ منه ولا م
الدرهم الفرد ثم ان الوزير فرهاد باشا ايضا علي ابن عمه شكر وهما
ووعدهما بكل خير ثم خرج حسن ابن مرعي وابن عمه شكر وهما
فرحانين حتي دخل علي والدته فقالت ما هذه الحالة وما هذه
الخلعة ومن اين جاتك فاخبرها بما وقع له وانه التزم لهم ان يسلم
السلطان طومان باي الي السلطان سليم فقالت له يا ولدي
انت نسيت ما فعله معك السلطان طومان باي حتي اطلقك
من الحبس وامنك بعد الخوف وحلفت له الايمان المغلظة بانك
ما تخونه فكان جزاوه منك ان تسلمه لعدوه وتظن انك اذا
فعلت ذلك تلقي خير العدو والله لئن فعلت ذلك لاغضبن
عليك غضبة تكون سببا لهلاكك فقال لها وما الذي افعله
ورهنت لساني معهم بالذي اسلمه لهم وان لم افعل ذلك والا ما
سلمت من شرهم وربما يبطشوا بي فلا تنفعيني انتي ولا ه
السلطان طومان باي فقالت له ان الراي الصواب ان ترسل
للسلطان طومان باي فارسا وتخبره بما وقع وانه يكون علي

اهبة ان شا حاربه وان شا هرب الي جهة اخري واما انت فارجع
اليهم وشاغلهم الي ان يطيب الطعام فبينما ياكلون يكون سلطان
طومان باي قد عدي بلادا بعيدة او يكون نفيا للحرب فتخلص
انت من الجهتين فلما سمع حسن بن مرعي كلام امه موافقها
علي ذلك وخرج من عندها وهو متحير في نفسه كيف يصنع ويقول
في نفسه ابن عقلك تقتدي بكلام النسا لنا قصاة النقل
والدين وتترك ما يحصل من السلطان سليم من العز والجاه والقرب
بين العربان بسبب من غدرت به الايام والليالي وفاتت دولته
وانقضت مدته واذا لم امسكه انا مسكه غيري وفاز بالغنم
والعز ولا اسلم بعد ذلك من غضب السلطان سليم ثم انه اجتمع
بابن عمه شكر واخبره بما قالت له امه فقال له شكر وهل من
عاقل يبيع عاجله باجله ولا تميل الي الكلمة الناقصة فيحل بك
الخسران ثم انهم اتفقوا علي ان يكونوا مع السلطان سليم
قال الناقل هذا ما جري لهولا اسمع ما جري الي السلطان طومان
باي فانه لما بات واصبح فالتفت الي الامرا وقال لهم اني اريد ان
اخبركم بما رايت الليلة وهو ان قايلا يقول لي رايت رسول الله
صلي الله عليه يقريك السلام ويقول لك ان دولتكم قد زالت
وعمركم قد فرغ وانت جارنا في الجنة بعد اربعة ايام ارجع عن القتال
فلا فايدة لك فيه واني قد عزمت علي رمي سيفي في هذا البحر
المالح واما انتم فكل منكم يذهب الي حيث اراد هذا اخر اجتماعنا
في الدنيا والقيامة تجمعنا في الاخرة قال الناقل لهذا التاريخ

وهو

وقع في ايديكم وهل يكون هذا ايقاظا يصير لكل منا ذنبا ووقع
الهرج فيهم وما زالوا سايرين به حتي وصلوا الي اوطاق السلطان
سليم وقد كانوا ارسلوا بشيرا الي السلطان سليم وقت
قبضهم للسلطان طومان باي بانهم مسكوه مسكا باليد
ثم انهم اعلموه كيف كان قبضهم عليه وان شيخ العرب حسن بن
مرعي هو الذي كان السبب في ذلك لانه ماد لهم عليه لاجو
وانه حسن للسلطان طومان باي عبارة حتي دخله في
ذلك الوادي وحبسه فيه وانه يستحق كل خير فانه لولا
حسن هذا ما كنا نعرف له موضعا قال الناقل وذكروا للسلطان
سليم جميع ما وقع وانهم قادمون به في القيد والسيد لعبد ان
كان رمي سلاحه في البحر المالح وسلم نفسه بالامان وقد
تشتت جميع عسكره ومسكناه باليد وهو واقف علي تل
عالي بمفرده قال الراوي ففرح السلطان سليم بذلك غاية
الفرح وقال الان قد ملكنا ملك مصر فما تم الكلام الا وقد
اقبلت العساكر ولهم ضجيج عظيم فقام اوطاق السلطان سليم
علي ساق حتي ان السلطان سليم ارتاب من ذلك وظن
ان العدو قد هجم علي اوطاقه فقالوا له البشارة هذا اياس
اغا وخير بك وقنبردي الغزالي جابوا غريمك فلما وصلوا الي
خيمة السلطان سليم خرج لهم الوزير يونس باشا وامرهم
ان ينزلوا السلطان طومان باي ويدخلوا الي السلطان
سليم فدخلوا وقبلوا الارض بين يديه واخبروه بالواقعة

من اولها الى اخرها ولولا شيخ العرب حسن بن مرعي هذا ما كنا
عرفنا له طريقا فشكره السلطان سليم على ذلك ووعده بكل خير
ولما اصبح الله بالصباح امر السلطان سليم بعمل الديوان واظهر
ما عنده من الزينة الملوكية ورتبوا له احسن ترتيب وحضر
جميع العساكر ووقفوا بين يديه على حسب مراتبهم واركب
موكبا عظيما ورتب الينكجرية صفوفا على احسن ترتيب واقاموا
المدافع في ناحية العسكر وهم صفوفا واجهزوا النار وهم منتظرون
وامر السلطان سليم ان يطلقوا المدافع وجميع الرماة ان يسيبوا
كلهم طلقا وتدق الكاسات والطبلخانات بنوع السلطان
سليم وبنوع الوزرا والباشات فعند ذلك احضر السلطان
طومان باي ودخلوا به من بين هذه العساكر وراى نظام العثمانية
في احسن ما يكون ونظر هذه العساكر وهذا الترتيب الذي لا عين
رات ولا اذن سمعت فلما دخلوا به على السلطان سليم سلم سلام
الملوك فرد عليه السلطان سليم كما يجب ولم ينقص مقامه في سلامه
ثم وقف السلطان طومان باي فامره بالجلوس فجلس وهو في
غاية الندم على ما فعل وقال اني كنت طيرا طايرا وكانت الارض
واسعة اذهب الى حيث شيت واريد واختار فاسلمت روحي
لعدوي بيدي بيسما كانت فعله اوجب الهم والذلة كل ذلك
خطر في نفسه وهو جالس لا يتكلم ولا احد يتكلم ولا يرفع راسه
فنظره السلطان سليم وتامله بعين الفراسة فوجد كل شي
فيه يشهد له بالشجاعة والفروسية وكان الفقر شاهدا له

لا عليه

لا عليه فتعجب السلطان سليم فيه كيف سلم نفسه لغير حرب
ولا قتال ولم يكن فيه شي يشهد له بانه جبان ابدا بل انه اذا راه
من لا يعرفه يشهد له بانه شجاع ثم ان السلطان سليم قال في
نفسه انما هذا امر سماوي اصابه وطالع نحس غريب غير صوابه
حتى ارمى سلاحه وسلم نفسه مع انه قاتل قتال الجبابرة ولا
لو هرب كانت الدنيا واسعة بين يديه ابن ما شا ذهب وحيث
طلب هرب ثم ان السلطان سليم التفت اليه وقال له يا سلطان
طومان باي كم نصحناك عن القتال وعن سفك دما المسلمين
اولا اني ارسلت اليك من الشام ان تجعل السكة والخطبة باسمي
وانت مقيم على ملك مصر وانا ظهرك ومعينك على ساير
ملوك الارض فابيت ذلك وقتلت رسلي والرسول لا يقتل
فسرنا بعساكرنا لقتالك ورفعنا الاعلام ونشرنا العساكر
على خراب ديارك فاول مقاتلتك في الريدانية هزمناك الى
الصعيد وارسلت اليك الى الصعيد رسلا ومعهم قضاة بلادكم
فلم تقبل الصلح وقتلت القضاة وتعديت شيم الكرام بقتل الرسل
اولا وثانيا ثم ان السلطان سليم عاتبه عتابا كثيرا فقال
السلطان طومان باي والله انه لم يكن شي من هذا بخاطري
ولا بامري ابدا واني لما ارسلت الي من الشام اكرمت الرسل
وامرت بنزولهم في دار الضيافة وجيت نبتني ان افعل ما جاوا
به من الامر وارد الجواب كما امرتني فلاقاهم الامير علان وهم
سايرين الى بيت الضيافة فقتلهم فلما بلغني عسر علي ذلك

وكذلك الدول الذي ارسلهم جري في حقهم كما جري في حق غيرهم
من غير رضاي وكل هذا ليس بامري ولا بارادتي وانما جرت به
المقادير من الرب القدير حتي تجري الامور علي كتب قديم الزمان
لان دولتنا زالت وادبرت ودولتكم جات واقبلت وهذا
شي كتبه الله تعالي علي في القدم واجري به القلم وما اراد الله
تعالي فلا مرد له ولا يغلب الله تعالي غالب ولولا ذلك ما
قدرت انت ولا احد من ملوك علي اخذ بلادنا فانه لو كان بالقوة
والشجاعة ما كنتم اقوى منا ولا اشجع ولا افرس وها انتم
رايتم كيف فعلنا مع عسكركم وكسرتهم كذا كذا مرة واما
قولكم انكم تريدوا السكة والخطبة باسمكم وان تكونوا راس
الملوك بخدمة الحرمين الشريفين فانا والله ثم والله ما اخذت
السلطنة برغبة مني وانما قومي وعسكري اختاروني ورغبوا
في ان اكون سلطانا عليهم لما علموا زهدي فلما ان تقلدت
ذلك وجب علي ان اردعنهم وادافع واما انت فانما قيامك
في حظ نفسك ليس الا خصوصا ونحن مسلمون فكيف تستحل
قتل المسلمين وتري عليهم بهذه المدافع والنيران فكيف
بك اذا وقفت بين يدي رب العالمين فما جوابك وكل ملك تملكه
الله تعالي فهو لله تعالي عبد اصغر فما انت وانا الا من جملة
العبيد فتعجب السلطان سليم وقال له انا ما جيت عليكم
الا باتفاق علما الاعصار والامصار فاني كنت متوجها الي جهاد
الرفضة والفجار فبغي علي اميركم الغوري وجا بعسكره الي

حلب

حلب واتفق مع الرفضة واختار انه يمشي الي مملكتي التي هي
موروث ابائي واجدادي فلما تحققت ذلك تركت الرفضة ومشيت
ومشيت اليهم ونظرهو وعسكركم قوتنا وقوتكم وبعد حضوري
الي الشام سمعت انك عملت سلطانا علي كتبه اجلاب
ولست اهلها والسلطنة لا تكون ولا تليق الا لرجل يكون
اباه واجداده سلاطين وانت وفا يتباي الذي كان
هو اعظمكم والغوري ايش اسامي ابايكم من اين لكم السلطنة
ومن اين لكم الامارة كلكم اولاد نصاري وابنا نصاري مماليك
بلا عتاق حتي تغنيتم من قلة عقولكم واذا بكم تعملوا الرجل
سلطانا وتعزلوه وتقتلوه ايش لكم اليد حتي تولوا وتعزلوا
وتقتلوا وتطاولوا ايديكم علي السلاطين وانت وقومك
كم قتلت من عسكري كل مسلم وابن مسلم فما جوابك عليه
عند الله تعالي قال له السلطان طومان باي مسرعا ان الله
سبحانه وتعالي اجازني لك قال مولانا سبحانه وتعالي في
كتابه العزيز فمن اعتدي عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدي
عليكم اللهم الا ان السلطان الملك الاشرف قانصوه الغوري
وقع بينكم وبينه وختم الله تعالي له بالشهادة وستقف انت
واياه بين يدي رب العالمين واحكم الحاكمين واما انا فليس
بيني وبينك عداوة ولا احد من عسكرك ولا غيرهم قال
له السلطان سليم والله ما كان قصدي اذيتكم ونويت الرجوع
لبلدي من حلب ولو اطعتني من الاول وجعلت السكة والخطبة

باسمي لاجيتك ولا دست ارضك فقال له السلطان طومان
باي الا تنفس لنفسي ربيت في العز لا تقبل الذل هل لو ارسلت انا له
وامرتك ان تكون تحت امري هل كنت ترضي بذلك وهل سمعت
ان الاسد يخضع للذيب لا انتم افرس منا ولا اشجع منا وليس
في عسكرك من يقاسيني في حومة الميدان ونحن قوم قد خصنا
الله سبحانه بذلك ولكن انا اعرف ان ما عليك امر من هذين
الشيطانين الخاينين فانهما لو كان فيهما خيرا كان لنا وفي الحقيقة
ان العثامنة لم عرفت الشجاعة والفروسية علي ظهور
الخيل الا من عسكر الجراكسة لما اخذتم مصر لانهم فعلوا فعلهم
وتخلقوا باخلاقهم في جميع ما كانوا فيه من لبسهم وشراويلهم
الحمر ولف عمايمهم التي لا يشبهها شي من ساير الطوايف فلم ترى
في الدنيا من ساير الاجناس اظرف ولا احسن هيية ومنظرا
منهم اي بوشا هذا ونرجع الي سياقة الحديث فقال السلطان
سليم للحاضرين مثل هذا الرجل لا يقتل ولكن اخروه في الترسيم
حتي ننظر في امره فاخذه اياس اغا ن وذهب الي خيمته واجلسه
بها واخذ السلطان سليم يتكلم مع الحاضرين في شانه واذا
بالبشارة قد جات من عند الامير احمد بن بقر بانه قبض
علي الامير شادبك الاعور وانكم ترسلوا من ياخذه فازداد
السلطان سليم فرحا بذلك وقال من يذهب اليه ويات
به فقال قنبردي الغزالي انا يا مولانا السلطان فقال له
السلطان سليم انت لها يا ابا منصور فقام قنبردي الغزالي

من

من وقته وخرج واخذ معه ماتين من نقاوة العسكر ثم ما تم
النهار الا وهم في منية عمر فوجدوا الامير احمد بن بقر واقف
لهم في الانتظار فلما اجتمع به قنبردي الغزالي وسلم عليه قال له
الامير احمد بن بقر انزل الي دار الضيافة قال لا يمكن ذلك فان
السلطان سليم امرني ان ارجع اليه في يومي هذا فاسرع
لنا بالامير شادبك الاعور وسير معنا الي السلطان سليم
ليكافيك علي فعالك ولا تخبرني كيف مسكته الا ونحن سايرين
في الطريق فعند ذلك احضروه وهو مقيد بزند فلما وقع نظره
علي احمد وقنبردي الغزالي فقال لعن الله تعالي بينا بل الخاينين
فلم يردوا عليه جواب وركبوه علي بغلة وقيدوه من تحت
بطنها وطاروا به كما يطير الغراب بالجيفة ثم اخذ احمد بن بقر
يحكي لقنبردي الغزالي كيف قبض عليه وذلك ان الامير شادبك
لما خرج من الغابة بعد ان ايس من السلطان طومان باي سد
وقصد صديقه وحبيبه احمد بن بقر فلما وصل اليه اكرمه غاية
الاكرام وزاد في اكرامه وقال له لا تخف ولا تحزن حيث ما وصلت
الي وحكي له الامير شادبك جميع ما وقع لهم وما وقع للسلطان
طومان باي وتسليم نفسه بنفسه فتم الامير احمد صابر له
حتي دخل الليل فنام الامير شادبك لياخذ لنفسه الراحة
وكان له عدة ايام وليالي ما نام ولا طرق النوم عينه فنام
واطمان علي نفسه فقال احمد بن بقر لاصحابه خطر عندي
شي اذكره لكم قالوا وما هو قال الخذ هولا القوم قد زالت

دولتهم حيث ان سلطانهم سلم نفسه واني اريد ان افعل
كما فعل حسن بن مرعي واحصل في يدا عند السلطان سليم
واخذ الشكره على غيري فقالوا له هذا هو الصواب فعند
ذلك قام احمد بن بقر من ساعته ودخل عليه وهو نايم ومعه
نحو العشرين نفس وضربه على راسه بالنبوت فبطحه وامر
بقية الحاضرين فوقعوا عليه وكتفوه وقيدوه فلما اصبح النهار
ارسل قاصدا الى السلطان سليم واعلمه بذلك فلما سمع به
السلطان سليم بان الامير شاذبك وقع فرح وارسل
قنبردي الغزالي كما تقدم في الكلام واخذ الامير احمد بن بقر
يحكي لقنبردي الغزالي بجميع ما وقع له مع الامير شاذبك وكيف
كان سبب مسكه وسمعته اذ هانكم الرابعة من الاول
الى الاخر فشكره قنبردي الغزالي على ذلك وقال له الان
قد اشتفى قلبي من هذا الاعور الخبيث ولذا لو اجدس
في السير حتى دخلوا الى اوطاق السلطان سليم واوقفوه
بين يديه فتامله السلطان سليم ونظره فوجده من
اكمل الرجال وهيبته ظاهرة عليه وشجاعته لا سنه ذو
شكل له هيبة ووقار وضخامه وحشمة فاراد السلطان
سليم ان يختبر كلامه وينظر عقله حتى يعلم ويتحقق شجاعته
وعزه فان الشجاعة والعقل لا يعلموا الا بالجواب في حضرة
الملوك والحكما فقال له السلطان سليم كيف تنظر الدنيا
يا امير شاذبك فقال له كلا بني فقال له السلطان سليم

حيث

حيث انها كلا بني كيف تقاتل عليها وتحارب وتجادل فيها مع
قال الامير شاذبك انا ما قتلت عليها ولا نافست احدا
فيها وانما قاتلت عن مالي وعيالي وعرضي واولادي وكتاب
الله وسنة رسوله اجازوا لي في ذلك فاما الكتاب فقد قال
الله تعالى في كتابه العزيز فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه
بمثل ما اعتدى عليكم وقال تعالى اذن للذين يقاتلون بانهم
ظلموا وان الله على نصرهم لقدير وقال النبي صلى الله عليه وسلم
من قتل دون ماله وعياله كان شهيدا فنحن ما قتلناكم الا
باذن الله ورسوله وانت بلا دليل اعتديت علينا واستحللت
دماانا واموالنا قال السلطان سليم انكم تقتلون ملوككم وتاخذ ون
الامور بالسيف ولا تتوقفوا على الحدود والشريعة وقد
استفتيت عليكم فاجازوا لي العلما بذلك قال الامير شاذبك
اما قولكم انا نقتل ملوكنا فانه كلام باطل فان المرحوم الملك
الاشرف قايتباي اقام نحو ثلاثين سنة ملك مصر الى
ان مات رحمه الله تعالى واما ابنه محمد فانه قد تعدى
الحدود ولم يتوقف على حدود الشرع ولقد قتلناه واما الذين
تولوا بعده لم نر فيهم خيرا ولا قابلية للملك فلهذا افنيناهم فمنهم
من حبسناه ومنهم من قتلناه اتباعا للشرع وقد اخترنا المرحوم
الامير قانصوه الغوري واقمناه سلطانا فاقام الى ان خرج اليك
لامر اراده الله في الازل الى ان حصل ما حصل واخر الحياة الموت
ولا نخشى يا قوان من الموت فقد قال الله تعالى انك ميت وانهم

مبنوك ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون فلما سمع السلطان
سليم ذلك اشار بيده ان اطرحوه في الترسيم اقعدوه قال
الراوي وكان في اليوم الذي جابوا فيه السلطان طومان باي
بعد سواله وجوابه اليه قبل ما يعطيه للترسيم اشار بيده
الي اطلاق المدافع والضربزانات والبنادق فانزفت النوبة
السلطانية ودقت الكوسات والنفافير واطلقوا المدافع وكبروا
ثلاث تكبيرات وهللوا الله الله الله ثلاث مرات حتى [illegible]
تزلزلت الارض وضربوا النوب نوبة السلطان سليم ونوبة الوزير
الاعظم ونوبة الوزرا لكل وزير نوبته والباشات والامرا وبعد
اخرها اشار بترسيم السلطان طومان باي امر ان ينادى
في جميع مصر بالزينة فزينوا الناس جميع مصر والقاهرة وجميع
البيوت والدكاكين بانواع المتاع الفاخرة وشاعت الاخبار
في ساير اقليم مصر بان السلطان طومان باي مسكوه بدلالة
حسن بن مرعي وصار الناس منهم من يصدق ومنهم من يكذب
ولما كان في ليلة الاحدي والعشرين من شهر ربيع الاول
صلى السلطان طومان باي صلاة العشا وجلس وهو كثير التفكر
زايد التضجر والحسرات متتابع العبرات فاخذته سنة من
النوم وهو جالس فاذا هو بشخص واقف قدامه وقال له يا سلطان
طومان باي تقدم بنفسك الي الرحيل فقد مضى الكثير والقليل
وجا الوقت المعلوم فانتبه من نومك فقد وصل فراقك من
اهلك وقومك فانتبه السلطان طومان باي مرعوبا فازعا

ونعوذ

ونعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقرا شيا من القران فنزل عليه
من النوم شي ثقيل فاضجع كانه ميت او قتيل فلم ينزل عليه
من النوم في عمره اثقل من تلك الساعة قط والسبب في ذلك
ان الروح تعلم بفراق البدن فتودعه بطيب الوسن ثم افاق
بعد ذلك فوجد نفسه كانه صب عليه ماء من كثرة العرق
وكان هو الحاكي عن نفسه بذلك للقاضي اصيل الدين الطويل
فانه لم يات احد من اهل مصر غيره واوصاه بان يغسله ويكفنه
بيده وقد فعل ذلك كما اوصاه قال الناقل وما زال السلطان
طومان باي على سهرته الي الصباح فلما انتهت الوجوه واذا
بالجاويشية قد جاوا اليه وهم مسرعون وقالوا له قم فان
السلطان سليم يطلبك فقام معهم وساروا به الي ان قرب
من خيمة السلطان سليم اوقفوه واذا بقابوجي اغاسي
وقد خرج من عند السلطان سليم وقال قد برز امر السلطان
سليم بان يسيروا به الي باب زويله فيصلبوه هناك فجابوا
له بغلة واركبوه عليها وقيدوه من تحت بطنها ودارت
من حوله الينكجرية والعساكر من ساير الطوايف وخرجوا به
من اوطاق السلطان سليم الي انبابة ونزلوا في المراكب
وعدوا الي بولاق ودخلوا به من مرجوش الي بين القصرين
وقد انقلبت الدنيا بالضجيج والبكا والصياح وكان الواحد
من عسكر الروم يجي الي الرجل من اهل مصر يقول له هذا الذي
على البغلة هو السلطان طومان باي او غيره فيقول بل هو

وكان ذلك اليوم على اهل المملكة من اشيم الايام بكت فيه الارامل
والايتام رحمه الله تعالى قال الراوي وهو الشيخ احمد بن زنبل
الرمال المحلي فلما وصلوا به الى باب زويلة وجدوا الحبل مرخي فاسرعوا
به ونزلوه من على البغلة وصلبوه من غير مهلة ثم شنقوه وهو
مكشوف الراس وعلى جسده شاية جوخ احمر ضيقة وفوقها
ملوطة باكمام وفي رجله لباس جوخ ازرق ومكث ثلاثة ايام
حتى فاحت ريحته ثم انزلوه ثم بعد ذلك ساروا به في نعش الى
تربة السلطان الغوري فغسله القاضي اصيل الدين الطويل وكفنه
في ثياب ارسلها السلطان سليم من خاص الموصلي الرفيع ثم صلى
عليه القاضي بعد ما كان اوصاه ودفنوه في فسقية بالقبة المذكورة
وارسل السلطان سليم اكياس من الفضة صدقوها عليه ثم انه
حضر الصلاة على السلطان طومان باي ثم ان الذي فرق الاكياس
على الناس من غير عدد بالصب اعطاه ثلاث حفنات فضة
واعطا القاضي اصيل الدين مثل ذلك وفرق الباقي على الناس
من غير عدد بالصب قال الناقل ثم ان السلطان سليم في الساعة
التي امر فيها بصلب السلطان طومان باي احضر الامير شاذبك
وامر بضرب عنقه فقطعوا راسه وجات عياله وغلامه الحاج
فارس فاستاذنوا في اخذه وجاوا به الى المدرسة البيرسية
وغسلوه وصلوا عليه ودفنوه في مسجد من داخل الحوش الذي
عند الغوث بالقرب من المدرسة المذكورة وهذا اخر مدة الجراكسة
وهو يوم الاحد الحادي والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ثلاث

وعشرين

وعشرين وتسعماية قال الراوي وهو الشيخ احمد بن زنبل الرمال
المحلي ان الذي وصل الي علمي من لفظ سيدي محمد بن السلطان
الغوري ان السلطان سليم لم يكن في نيته قتل السلطان طومان
باي وانما كان السبب في ذلك خير بك وقانبردي الغزالي فانهم لما راوا
السلطان سليم لم يسهل عليه وصح لهم المجلس العام بان مثل هذا
لا يقتل لما راي كلامه كله سديدا وهو حق وصدق وثبت عنده
صدقه وظهر له حاله وراي من شجاعته ما يفوق الوصف ما سهل
عليه قتله وكان مراده ان ياخذه معه الى بلاد الروم ويبقيه عنده
ذخيرة لعله ان يستحلفه الايمان المغلظة وثبت عنده دينه وصلاحه
وكان رحمه الله تعالى محبوبا للصورة فلا يجي احد غريب ولا قريب
الا احبه وشهد له بالصلاح فكان خير بك اخشى على نفسه وكذلك
قانبردي الغزالي ان السلطان سليم ان اخذه وصار بينهما العداوة
لا يبقي عليهما فاخذوا يدبروا في الحيلة ويحسنوا للسلطان سليم
قتله فعند ذلك اقتضى راي خير بك وقانبردي الغزالي ان يكتبوا
للسلطان سليم ورقة ويرسلوها له خفية من غير ان يشعر بها
احد من الوزرا والباشات ولا غيرهم ومن جملة ما كتبوا الذي
نعلم به مولانا الخنكار ان اهل مصر والاجناد التي تشتتت من الجراكسة
لم يصدقوا ان سلطانهم عجز وسلم نفسه وقبض عليه وكذلك اهل
الاقاليم والعربان والخاص والعام لم يصدقوا بذلك والمقصود انك
متى ابقيت عليه فقد ضيعت تعبك وسفرك وهلاك اموالك
ورجالك فانه بمجرد ما تسافر من هذه البلاد لو كان تحت الارض

خرج منها وافسد عسكرك بالعطا وتندم حيث لا ينفعك الندم
وانت تعلم ما يتولد من ذلك فان اردت ان نطيعك الممالك والبلاد
وتحتوي على جميع الاجناد من غير مانع يمنعك منها ولا مدافع يدفعك
عنها فعجل بهلاكه وارسل اصحبه على باب زويلة ليراه الخاص والعام
ويشاع ذلك في ساير البلاد وتضيك الناس وتروق الدنيا
وتطمين على نفسك وتملك هذا الاقليم العظيم الذي ليس له نظير
تحت سما الدنيا ولقد قال بعض الحكما رحمه الله عدوك لا تصافيه
وحبيبك لا تجافيه وقال بعضهم ومن لم يحسب العواقب ما الدهر
له بصاحب فعند ذلك امر السلطان سليم بصلب السلطان
طومان باي ورمي عنق الامير شاذبك نجا المقدم رحمة الله تعالى
عليهم اجمعين ونرجع الى سياقة الحديث قال الراوي كان رحمه الله
تعالى على ما حكاه سيدي محمد بن المرحوم الملك الاشرف قانصوه
الغوري والقاضي اصيل الدين الطويل والامير ازدمك الناشف وغيرهم
ممن راه وعرفه وعاشره ظاهرا وباطنا فاتفق الجميع انه كان مقداما
خبيرا بالحرب ومواقع الطعن والضرب والدخول في الميدان والخروج
منه لا يرهب الاقتتال ولا يخطر الموت له على بال وقد ذكرنا ذلك
في حروبه ووقايعه وكان عمره اربعة واربعين سنة وكان متوسط
الطول ذهبي اللون واسع الجبين اسود العينين والحاجبين واللحية
وكان دينا صالحا خيرا فقيها ملازم الصلوات الخمس كثير الصدقات
دايم الصمت زايد الادب والسكون والخشوع ملازما لزيارة
المشايخ الاحيا منهم والاموات حتى انه لما غسله الغاسل وقلعوا

ماعليه

ما عليه من الثياب وجدوا على بدنه جبة من صوف احمر واوصى
ان يدفنوه بها ولم يظهر عنه في مدة حياته شيا من الافعال
الردية ابدا ولا شرب خمر ولا زنا ولا فواحش ابدا وكان قليل
الشهامة لا يظهر شيا مما يفعله اهل التجبر والعنف وكان الغالب
على حاله السكون والوقار وكان الغالب عليه العقل والرزانة
اعني غالبا على نفسه لين الكلمة ذا انخفاض وكثرة رحمة ورافة
وشفقة على كل احد حتى انه لما ظهرت منه هذه الفروسية والشجاعة
في قتال السلطان سليم صارت الناس من اهل مصر وغيرهم يتعجبون
منه غاية العجب ولا كان احد يظن انه بهذه الصفة وكان
الذي عمره ما راه وراه لا يشك في انه عبد صالح فان الصلاح والانس
والخيرية ظاهره عليه وقد تقدم في التاريخ ان السلطان سليم
ما هان عليه ان يقتله الا لما راه وسمع كلامه وقال والله يا سلطان
طومان باي لو اطعتني على مرادي بان تجعل السكة والخطبة باسمي
ما دخلت لك ارضا ولا بلادا ولا وقع بيني وبينك حرب ابدا
ولكن لكل شي سبب حتى جرى القضا والقدر وقتل من قتل
وسلم من سلم واما زوجة السلطان طومان باي وهي خوند
بنت قنبردي الغزالي دوادار كبير تزوجت بعده برجل يقال له
الشيخ ابراهيم الكلشني وبقيت بمصر الى ان ماتت ولم يخلف
السلطان طومان باي اولادا ذكورا ولا اناثا واكثرت فيه الشعرا
من المراثي والقصايد وبعض كانه لم يكن وكان القاضي اصيل الدين
الطويل دايما يبكي عندما يحكي عن السلطان طومان باي هذا

حكايات غريبة عجيبة تشهد له بانه من عباد الله الصالحين ومات
الناصر اصيل الدين الطويل في سنة سبعين وتسعماية **قال
الراوي** وهو الشيخ احمد بن زنبل الرمال المحلي قد قدمنا في التاريخ
ان السلطان طومان باي تسلطن في يوم الاحد الخامس عشر
من شهر رمضان سنة احدي وعشرين وتسعماية وانقطع
اسمه من الخطبة علي منابر مصر في اول سنة اثنين وعشرين وتسعما
وكان من حين ضربت له السكة واقيمت له الخطبة الي زوالها ثلاثة
اشهر ونصف ومن اول سلطنته الي وفاته ستة اشهر وخمسة
ايام **قال الناقل** وفي الساعة التي امر السلطان سليم فيها بصلب
السلطان طومان باي وقتل الامير شاذبك الاعور احضر فيها شيخ
العرب حسن بن مرعي وابن عمه شكر وشيخ العرب احمد بن بقر
واخلع عليهم خلعا عظاما من اجل خلع الملوك واعطي لكل واحد
منهم ولاية بلاده اقطاعا له لا يحمل منه مالا ابدا لديوان السلطان
الدرهم الفرد ولا ذرة تماما دام باقي قيد الحياة وارسلهم الي بلادهم
بعد ان احسن اليهم احسانا جزيلا واكرمهم اكراما عظيما **ذكر
تولية الكشاف بمصر** ثم امر السلطان سليم بتولية الكشاف
فولي الامير جانم علي البهنسا والفيوم وجانم هذا الذي كان تخاصم
مع السلطان طومان باي وانكسر في شرق اطفيح بعد ان كان
ذهب في البحر في المراكب واخذت منه المراكب ورجع منهزما وقد
تقدم ذكر ذلك وابو حمزة رفيق جانم هذا علي المحلة واقليم الغربية
ثم عزله عن المحلة واعطاه الجيزة وارسل الي المحلة امير اصنجقا ثم احضر

القضاة

مثل هولا العسكرين ولا اكثر عددا فقال ولم يقاتل في هذا اليوم من
الجراكسة الا نحو الفين فارس لا غير وهم الامرا الذي قد مر ذكرهم
واتباعهم واما جلبان السلطان الغوري الذي هم مشترواته
لم يتحركوا من مواضعهم ولا هزوا رماحهم ولا جذبوا سيوفهم من
وسبب ذلك ان الله تعالي قد اراد ازالة دولتهم فاوقع الكره
فيهم للخلف لامر يقتضيه وحكم يمضيه وعلي ما قيل ان السلطان
الغوري امر بان اول من يخرج الي الحرب القرانصة لكون انهم اعرف
بالحرب من الجلبان وكان قصده انهم ينقطعوا ويستريح منهم ويكتفي
شرهم ويصفي له الوقت فانه كان بحسب حسابهم خوفا من مكرهم
فامر بتقديمهم للحرب واخر جلبانه وجميع حاشيته فلما رات الامرا
السلطان واقف هو وجميع جلبانه وطايفته لم احد منهم يتحرك
من موضعه كانهم يتفرجوا فتغيرت نياتهم عليه وعلموا مكره الذي
قصده فقالوا نحن نقاتل بانفسنا مع التتار والسلطان ينظر
الينا كالعين الشامتة وجميع جلبانه نحو ثلاثة عشر الف لابس
غير حواشيه ومن يلوذ بهم لم يامر احدا من مماليكه يخرج للميدان
فعند ذلك اختلفت نياتهم وكان العسكر كله مختلف في بعضه
مفسود النية ليس لهم راي يرجعوا اليه ولا تدبير يتفقوا عليه بل
كل من تكلم بكلام يقول الاخر بضده واما الامرا قد جردت للحرب
وقالوا انا نقول الكلام بضد نحن وقضا قد اوقع عن انفسنا فاعتمدوا
علي الله تعالي في حملتهم واصلحوا النية في كل فعل وصدموا الروم
صدمة بقوة عزم فضربوا الروم المدافع والبنادق حتي صار الهنا د

كالليل الحالك من كثرة الدخان والغبار من حوافر الخيل لانهم كانوا
يقاتلون بنيات متفقة وقلوب صادقة كما تقدم لهم في الكلام
مع بعضهم ولقد جاء المثل اذا اراد الله بقوم خيرا وفق كلمتهم
والف بينهم وامر العجب ما يكون من العجب ان هذه الفئة فارس
المتقدم ذكرهم وبقية الامرا واتباعهم يقاتلون قتال الموت في
نحو مايتين وثمانين الف من الروم ثم حطوا عليهم حطمة واحدة فهم
في ذلك الا والسلطان سليم رمح بحصانه من قلب الصف
الكبير حتى وصل الي الصف الوسطاني وفي يده سيف عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه وصاح على عسكره احطوا على الجموع حطمة
واحدة هكذا اتفا ركوا اقدامي مع عدوي وغيظ على الباشات
فلما نظروا الروم الي ذلك ردوا على الجراكسة كالبحر الزاخر اذا شاء
بعضه لوادي واطلقوا المدافع والبندق والضربزانات وعملوا
على الجراكسة وغيظوا الله الله فكانت الكسرة على الجراكسة
وطير الجراكسة والعربان والمشاة مثل العظم في الهوا وصار
الناس عليهم مثل القيامة الكبرى وكان المدفع يجي على كل سبعين
او سبعين او مائة نفس يطيرها في الافاق حتى صارت تلك
الصحرا كالمجزرة من الدما وتمت الروم والسلطان سليم ثابت
حتى وصلوا الي صف الغوري وهجم خير بك وقيبردي الغزالي ثم
من الذي انهزم من الجراكسة حتى دخلوا اوطاق الغوري وقد
باعلا صوتهم الفرار الفرار يا عسكر السلطان فو ذوا بانفسكم
فان سليم شاه هجم الاوطاق وقتلوا الغوري والكسرة علينا

والوي

في ثاني يوم ولخبره بما جرى وانه قتل قاضي بركات بن موسى
بيده فقال له نعم ما فعلت فانه كان راس غوانية الديوان ثم ساله
عن الامرا الذين بمصر من الجراكسة مثل الامير علي بن سودون
والامير رزمك النا شف والامير بردبك والامير ابا يزيد والامير
فارس نايب دمياط وجماعة كثيرة من الامرا الذين كانوا
مختفيين من حين قتلت السلطان طومان باي وشاذبك
وظهروا في ايام خير بك بعد رواح السلطان سليم وطمعت
امالهم باخذ البلاد ثانيا من يد الروام وكان الميعاد بينهم
ان يجتمعوا باقليم الشرقية فلما جا الامير جانم من الفيوم واجتمع
بالامير ابنال وقد التم عليهما الجموع من الجراكسة والعرب شي
كثير وكانت الامرا الذين تقدم ذكرهم كاتبوا الامير جانم بانه
يجمع من يقدر عليه وياتي الي الشرقية وهم يخرجون اليه في صفة
كانهم يريدون قتاله فاذا اجتمعوا يكونوا كلهم سوا فاقام جانم
وابنال بالشرقية مدة ايام فلم ياتهم احد فصعب على جانم
وقال لابنال ان قومنا قد غروا بنا وقدمونا للموت مع انهم
اتفقوا وايانا على عدونا ونجمع من ساير البلاد ويكونوا معنا
ظاهرا وباطنا ويكون ميعادنا واياهم بالشرقية ولنا مدة
ايام ونحن في انتظارهم فلم بان منهم خبر نعتمد عليه فاقاموا
في ديارهم امنين مطمينين ويقولون لبعضهم اذا جروا ذكرنا ثم
ان غلبنا كانوا معنا وان غلبنا كانوا امنين على انفسهم وغاية
ما عندهم بنا يسفون علينا اذا اصابنا شي اي شي ينفعنا

نا سفهم علينا بعد هلاكنا فقال له الامير اينال وجميع من حضر من
الاكابر هم والله انك صدقت في جميع ما قلته فقال لهم اضربوا لكم رايا قالوا
له ليس لنا راي الا الحرب والقتال اما لنا واما علينا فوافقهم
علي ذلك واما ما كان من مصطفي باشا فانه امر بتجهيز العسكر
لما سمع بقتل القاضي بركات بن موسي فاول من خرج قراموس
اغات الينكجرية وسليمان اغات التفكجية ولم يرسل مصطفي باشا
من الجراكسة احدا ابدا وحسب حساب الورب وجهز عسكرا
وجماعة عديدة وارسل من المدافع والضربزانات نحو الماية ومن
الرماة بالبندق خمسة الاف راجل غير الفرسان نحو جوامي ساعة
سعيدة واصنع مع السعد ما شيت ثم ساروا حتي قاربوا العدو
وصاروا ينظرون بعضهم علي بعد فارسلوا يقولوا الجانم في عد الحرب
بيننا وبينك فاجابهم الي ذلك وباتت الفريقين تحرس بعضهم
بعضا خوفا من الكبس فلما طلع النهار وبادروا الي القتال والطعن
والنزال وقاتل جانم قتال الجبابرة ورمت عليهم الرماه بالبندق
والمدافع والضربزانات حتي اظلم الجو وبقي النهار كالليل وانطبقوا
علي جانم من كل ناحية فهم في اشد ما يكون في الحرب الا وقد عثر
فرس جانم في شق في الارض دخلت رجله فيه فسقط الجواد الي
الارض فانقلب جانم علي ظهره فسارع الي القيام بريد حصانه
فوجد رجل الجواد قد انكسرت فتركه وطلب جنيبا غيره فلما راوه
العساكر علي هذه الصفة تحطوا عليه حطمة واحدة وادركوه قبل
ان يركب حصانا اخر فجاته ضربة علي حبل وريده بسيف هدلت

راسه

ولا احد منهم الا ويعرف سائر انواع الحرب والفروسية فانه كان
مجتهدا في تعليم الغلمان وكان قصده ان يجتبي له عسكرا من مماليكه
مشترواته ونقطع الغرانضة وعم مماليك الملوك الذين كانوا قبله وكان
يحسب حسابهم خوفا ان يمكروا به كما فعلوا بمن قبله اوكان واحد
حذره ولكن الحذر لا ينفع من القدر والقاعده المشهورة من طلبه
كله فاته كله وكان معه الاربعة الاعلام من المذاهب وخليفة سيدي
احمد البدوي وخليفة سيدي ابراهيم الدسوقي وخليفة سيدي
عبد القادر الجيلاني كما ذكرنا اولا وكان معه المؤذنون الدواخل
والوعاظ وكان له نظام عظيم فانخرم ذلك النظام وتنكست
تلك الاعلام ذكر التقا الجمعان ولما التقي الجمعان في مرج دابق وكان
اول الجيش امير كبير سودون العجمي وازدكاس امير سلاح وتخشباي
امير مجلس واما سيدي محمد بن الغوري اقام في حلب بامر والده وكذلك
دواداره جانم الاشرفي واما الذي كانوا في مقدمة العسكر سودون
الدوادار راس نوبة النواب وانس باي حاجب الحجاب وقانصوه
ابن السلطان جركس وكان من الابطال المشهورة وتمر الزردكاش ير
وجانبلاط ابو ترسين وناي بك الخازندار وازبك المكحل وصبرس
ابن عم السلطان فكان هذه الامارة اصحاب الطبلخانات بصحبة
السلطان الملك الاشرف ابو النصر قانصوه الغوري رحمهم الله تعالي
اجمعين فباتوا تلك الليلة علي غير حرب لكن لم يهنالهم نوم من خوف
بعضهم لبعض وكان ابتدا الحرب يوم الاحد المبارك الثالث
والعشرين من رجب سنة اثنين وعشرين وتسعماية فلما انتهى

النهار وركبوا الابر السبال والمحيط المبال وادموا ذلك الوقت تلك
المدافع والضربزانات والبنادق كانهم البرق الخاطف والرعد
القاصف واعتق الجو وتزلزلت منه الارض وملاه الدخان تلك
الصحراء حتى ما بقى احد ينظر لحد الى ان اول من بادر العثمانية بالحرب
من طايفة الجراكسة كان الامير اصلان بن براق نايب حمص لجند
قنطار بيته واطلق عنان جواده وصار يطعن في العرسان يمينا وشمالا
ثم حمل بعده الامير سيباي نايب الشام ثم حمل بعده الامير سنبيا
نايب الشام ثم حمل الامير سودون العجمي امير كبير وممالكه خلفه
نحو الالف ملبس ثم حمل الامير كرتباي الوالي جانبلاط ابو بكر بن
ثم الامير علان دوادار ثان ثم حمل الامير كرتباي الوالي ثم حمل
الامير قانصوه بن السلطان جركس ثم حمل تمر الزردكاش وتخشباي
امير مجلس والامير انس باي حاجب الحجاب والامير قانصوه كرت
والامير تاني بك النجمي والامير بيبرس بن عم السلطان الغوري
والامير قانصوه ابو سنة والامير قانصوه الفاجر والامير خير بك
نايب حلب والامير خير بك المعمار والامير جانبردي نايب البيرة
والامير قنبردي الغزالي نايب حماه وكانوا هولا الخمسة الذي
بعد راس المبغضين للسلطان الغوري والامير تمراز نايب
طرابلس وحملوا بجملتهم حملة واحدة وصادموا الروم ومالوا الي القتال
والطعن والنزال فتلقتهم الروم كالارض العطشانة لوابل
المطر قال الشيخ احمد بن زنبل الرمال المحلي ولم نرا في التواريخ
القديمة والجديدة وقعة مثل هذه الوقعة ولا اجتمع فيها
مثل